

على ذكر الربيع

شجرة المشمش

بقلم الأديب حسين شوقي

عندما فتحتُ صباح اليوم نافذتي التي تطلُّ على الحديقة ،
تولّاني العجب حينما شاهدتُ شجرة المشمش في ثوب زاهر
قشيب ، وكانت بالأمس عارية يابسة حقاً ! ما أبهى
شجرة المشمش في ثوبها الأبيض الزاهر ، كأنها فتاة تتأهب
لحفلة زفافها ! من ذا الذي أتى بهذه المعجزة ؟ من ؟ هو أنت
أيها الربيع ، يا ألطف السحرة وأمهزم ؟
ولكن ظهور الربيع فجأة أعاد إلى قلبي ذكريات عزيزة ،
وإن تكن حزينة مؤلمة . . .

إن قدوم هذا الربيع ذكري بربيع آخر قضيته في باريس ،
حينما كنت طالباً بها . . .

أذكر أنني ذهبت يوماً إلى حديقة « اللكسمبور (١) » الفناء
للمذاكرة في الهدوء والسكينة ، قبل الامتحان بأسابيع ، ويدي
كتاب « القانون المدني » للأستاذ « بلانيول » ، ولكن لم تكن
عندي رغبة في المذاكرة هذا اليوم ، لأن الطقس كان بديماً ؛
فالشمس أخذت تلمع في الأفق بمد احتجابها عنا طويلاً ، والجو
أخذ يبعث برائحة الربيع الزكية . . . لشد ما كان جميلاً منظر جند
الربيع ، وهي تتسلق الأشجار في أبوابها الخضراء ، وقد أخذت
الطير تهتف وتصفق من فوق أغصانها لذلك الجيش الحليف
الصديق ، الذي أراحها من الشتاء البقيض . . .

كنتُ أفتح كتابي لأقرأ فيه صفحة ثم أعود فأهمله لأنفريغ
للنظر إلى التغيرات المحيية التي تحدث في الطبيعة حول . . .
وكنتُ أغمض عيني ، ثم أستنشق - ملء الرئتين - عبق
الربيع في نشوة عظيمة . . . حقاً ! لقد كانت بضيضة إلى نفسى تلك
المذاكرة في هذا اليوم ! مالى و « بلانيول » ؟ مالى وللعقود

وتسجيلها ؟ مالى وللحجز والاسترداد ؟ والطبيعة تنجلي أمامي ؟
وبينا أنا على هذه الحال ، أفتح الكتاب لحظة لأهمله لحظات ،
إذ برزت من الخلف ضحك فتاة لم أتبه إلى وجودها من قبل ،
وإذ هي تقبل فأسمعها تقول : إنك على حق ! إنه لهذاب للنفس
المذاكرة في مثل هذا الطقس البديع ! أنا أيضاً لم أطق المذاكرة . .
ثم أشارت إلى كتاب ألقته على الأرض . . وفي دقائق معدودة
أصبحنا صديقين حميمين ، وكأننا تعارفنا من زمان طويل ، وكأن
حديثنا هذا تنمة حديث قديم . . . حقاً ! ما أمهرك أيها الحب
في إحداث أمثال هذه المعجزات !

تركنا مقاعدنا وأخذنا نطوف جوانب الحديقة لنعرف
ما إذا كانت جنود الربيع قد احتلت أمحاءها الأخرى

ثم دعوتها إلى تناول العشاء معي ، فقبلت الدعوة دون تردد . .
والمعجب أنني وجدت من الطيبى أن أدعوها إلى تناول العشاء ،
كما كان عجيباً أن تجد هي أيضاً من الطيبى أن تقبل هذه
الدعوة . . . ما أعجب تصرفاتك أيها الحب ! وفي أثناء العشاء
التهمت صديقتي بالنظرات ، معجبة كل الإعجاب ببيوتها
الكستنائية الصافية التي قامت على حراسها أهداب براقه فنية ،
وأعجبت بقوامها الرشيق ، وثوبها البسيط الأنيق . . ثم صرنا
تتلاقى في كل يوم . . ولم يشأ أن يسأل أحدنا الآخر عن ماضيه . .
ما شأن الماضى بنا ؟ ما شأن الأشياء التي ماتت وانقرضت ؟ لم
نغضب أنفسنا بأوهام وأشباح ؟ كذلك لم نشأ أن نفكر في
المستقبل ، لأن المستقبل لن يكون خالياً من الخطر والقموض . .
أليس الفراق يراقبنا عن كسب ؟ ألسنت طالباً أجنبياً تنتهي
دراسته بمد أسايح ثم يمود إلى وطنه ؟ ما لنا وللمستقبل إذا كنا
ننعم بالسعادة والحب في الحاضر ؟

قضيتنا أياماً للذيذة سعيدة مرت كما مدت سرعاً . . . أى
صديقتي العزيزة ! لاني لن أنسى وفاءك ما حييت ! كم كنت
تحسيننى على المذاكرة عند اقتراب الامتحان ، ونجاحى معناه
الأقتراق ، معناه عودتى إلى الوطن . . ولو رسبت لطالت إقامتى
معك . . ولكنك آرتت نفسى على نفسك ، وقدمت مصلحتى
على مصلحتك !

(١) مقر مجلس الشيوخ الفرنسي ، وحديقته منزه عمومي الباريسي

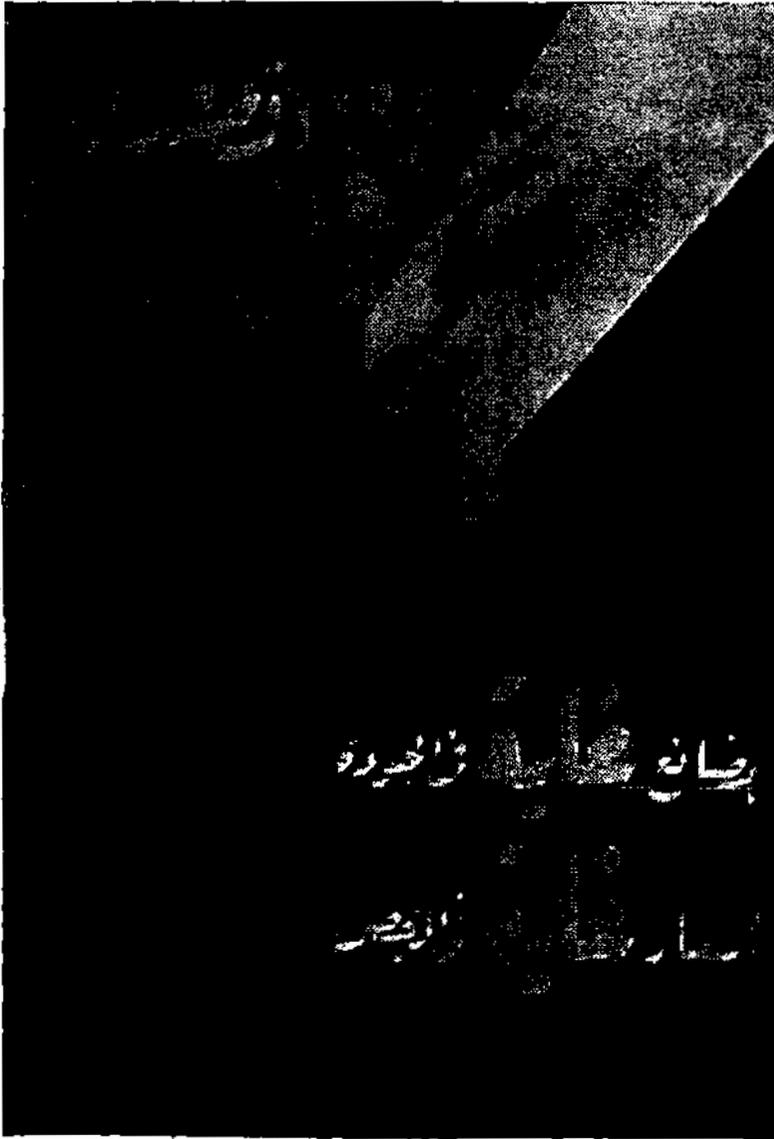
ما أطيب قلب تلك السيدة المعجوز التي جلست أمامي في
العربة ، وقد أخذت نبكي لكاننا وهي تتمم : يا لله ! ما أسمى
الحياة !

أى صديقتي المحبوبة ! إذا كان حيننا لم يمض طويلاً فان عزاءنا
فيه أنه انقضى في أوج شبابه وربمانه !

وأنت يا شجرة الشمس ! ذكريني في مثل هذا اليوم من
كل عام بهذه الذكريات العزيرة ، لأن القلب البشري ضعيف
قد ينسى أحياءه يوماً ما !

مبين شوقي

كريمة هلال



أى صديقتي المحبوبة ! إن قلبي يتفطر حزناً كلما تذكرت يوم
نجاحي ، وقد جئت الى الكلية أعرف النتيجة ، فلما عرفت
نجاحي طوقتني بذراعيك وقبلتني أمام الجميع بلا مبالاة من شدة
الفرح ، بينما لمحت دُمة تتحدر من عينك المحبوبة للفراق المرتقب ! ..
أى صديقتي العزيرة ! إنني ما زلت أراك وأنت ترافقيني في
مسيري لقضاء بعض حاجاتي قبل الرحيل ، وقد تظاهرت بالغبطة
والسرور كي لا تدخل على الغم في الأيام القليلة التي سأقضيها
معك في باريس ! كنت فرحة وأنت تتفقين لي الهدايا التي سوف
أقدمها لدى عودتي الى أفراد أسرتي في مصر ! أى صديقتي

العزيرة ! إنني ما زلت أراك تكفكفين
دموعك خلسة حينما حجزنا تذكرة عودتي
لدى إحدى شركات الملاحة ! إنني ما زلت
أذكر عشاءنا منفردين في الفندق عشية
الرحيل ... لقد بدا عليك الحزن في أجلى
مظاهره ، لأنه لم يمد بعد في طاقة قلبك
الرقيق الصغير أنت يتحمل تلك
« الكوميديا » .. « كوميديا الفرح »
والسرور التي كان يحياها في أيامنا الأخيرة ..
أى صديقتي المحبوبة ! كم كان مؤلماً يوم
الفراق ! لقد رجوتك ألا تذهبي الى المحطة
لأن الوداع في المحطات مؤثر من نفسه ،
ولكنك أصرت على الحضور زاعمة أنه
في طاقتك أن تتجمل .. ثم حضرت ..
وكنت فعلاً شجاعة في أول الأمر فقد
أخذت تضحكين ، كما جعلت توصيني
بأن أبعث اليك رسالة من كل مكان أحله
في طريق .. ولكن عندما علا صغير
القطار المزعج المؤذن بالرحيل ، ضاعت
شجاعتك فأخذت تبكين بكاء مرأ ، ولم
يكن في طاقتي أنت أخف عنك لأنني
كنت في مثل حالك من التأثر ..